المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651

العدد الرابع والعشرون/ نيسان 2024

البنيــة المـوضـوعـيـة في شعر سالم الكلباني[1]

إعداد الباحث: فهد بن سيف بن علي المنذري

باحث في مرحلة الدكتوراه في جامعة الجنان– كليّة الآداب والعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

تقديم:

لا بدّ لكلّ قصيدة من فكرة ترتكز عليها، فالفكرة هي الشرارة التي تنقدح منها عناصر الموضوع، ويُعَدّ الموضوع قطب الدائرة في إنشاء العمل الأدبي، ويتوقفُ حسن اختيار الكاتب لموضوعه بحسن اختياره للفكرة التي ينبني عليها، وهذا أمر يُعزى في المقام الأول إلى ثقافة الأديب وسعة اطلاعه وثراء مخزونه الأدبي والمعرفي، ثم إلى مدى إفادته من أدب عصره " إذ لا يمكن أن يتم خلق العمل الفني العظيم، إلا إذا توفر عاملان: الطاقة الإبداعية الكامنة في الفنان، والطاقة الثقافية الكامنة في العصر"[2] علما بأنّ الإلمام بأطراف الموضوع يفتقرُ إلى الشمولية، لأنه إلمام أقرب إلى القصور والتفنيد منه إلى الكمال والتأييد في أغلب الأحايين، و الزعم بالإحاطة أمر تكتنفُه المجازفة والخطورة، فالعمل الأدبي جهد إنساني لا يتجاوز حدود البشرية القاصرة، وتُسهم دراسة الموضوعات الشعرية في كشف غوامض الشخصية، وتحليل أسرارها المختفية، كما تُعدّ سجلا هاما لتاريخ الوقائع والمناسبات التي حدثت في عصر الشاعر مع الأخذ بالاعتبار أبعاد المؤثرات العقلية والنفسية في حياته، والكلباني بوصفه شاعرا عمانيا نُدركُ من خلال شعره ((أن

[1] سالم بن علي بن سالم بن سعيد بن سالم بن عمير بن سالم بن ماجد بن مانع بن خميس المانعي الكلباني، شاعر عماني من مواليد ولاية عبري، ولد في قرية مِسْكِن في سنة 1377 للهجرة الموافق له 1956 للميلاد.

[2] عبد الستار إبراهيم – الحكمة الضائعة / الإبداع والاضطراب النفسي و المجتمع – الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – سلسلة عالم المعرفة ص 12

القصيدة العمانية الحديثة في مستواها الذاتي والجماعي، عكست الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، وما ارتبطت به من مؤثرات لذلك نجد صورتها تماهت مع الماضي، وارتبطت بالحاضر رغبة في استشراف المستقبل))[1]. وسأتناول أهمّ الموضوعات التي طرقها الكلباني مع التعريج على أهمّ خصائصها الفنية.

أولا القصائـــد الوطنيـــة:

اقترن اسم الشاعر سالم بن علي الكلباني بقصائد الوطن أكثر من أي موضوع آخر، فقد حظيت قصائده في هذا المجال بالنصيب الأوفر إذا ما قورنت بالموضوعات الشعرية الأخرى، وقد تراوح فيها النفس الشعري بين الطول والقصر، و جاءت تارة طويلة النفس كما في قصيدة البطولة البالغة 124 بيتا وقصيدة عمان اسعدي التي بلغت 65 بيتا، وبالمقابل لا تتجاوز قصيدة جندي الحق أنا 14 بيتا، ويُطلعنا شعره الوطني عن حبه العميق لعمان، وهذا الحب صيّره بلبلا غريدا في دوحات الوطن، يتغنى بفضله وسخائه، مازجا أمجاد الماضي التليد بأغاني العهد الزاهر، وذلك في تقديره شعور مقصر وجهد مُقل، إلا أنّ شفيعه في ذلك غرامه وهيـامــه:

لم أقل ذات مرة أن شعري *** كان كفؤا لفضلك المفضـالِ

غير أني مستشفـع بهيـامي *** وغرامي و نشوتي و انفعالي

وهو لا يضـنُّ بكل ما في ذرعـه من إتقان شعري وإجادة في التراكيب، ليُدلل على هذا الحب المُنـزّه من أدران النقص:

لست أرضـى تزييف نفسي لأنـي *** غير أهل للزيف و الانتحـالِ

متُ كي تسعـدي مـرارا لعلمـي ** أن هـذا من واجب الأبطـالِ

[3] السليماني (عيسى) الصورة الشعرية في بناء القصيدة العمانية – كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ص 10.

غير أنه لا يحتسب هذا التفاني والإخلاص منّةً على وطنه، بل هو واجب وطني والتزام شرعي، ونستشرف في ذلك مواساة لنفسه التي صدقت في موالاتها وعهودها للوطن كما يقول، وبين أولئك الذين امتهنوا الرياء سلعة رخيصة عارية من الولاء، فأخذوا يرفعون عقيرتهم بحب الوطن وهم على النقيض من ذلك:

كنت والمترفون فوق الحشايا *** يحرم النوم أن يمر ببالي

هاجني الخاطبون عبلة فيما *** شردوا عنترا بربع خالي

ونراه يُصدر عن نفس مكلومة، أضنتها مُجافاة الزمان، حتى يُخيّل إليه أنه الصغير بين عياله لما عاناه من جفاء وعقوق:

فتأوّهتُ من تجافي زمانٍ *** صرتُ فيه الصغير بين عيالي

ونكتفي بهذه النماذج لأن شعره الوطني – بالجملة – يدور في فلك الفخار بالوطن وامتداح المليك والاعتزاز بالماضي والاعتداد بمآثر العهد الجديد.

ثانيا: المـــديـــح

حسب علمي لا يتوفر في ديوان الكلباني غير قصيدتين طرقهما في غرض المدح، الأولى زئير الضراغم من الكامل، والثانية صباح البطولات من المتقارب، وتأتي الأولى في سياق المديح السلطاني، وغير خافٍ ما تقدم الحديث عنه في الفصل الأول من أنَّ الوظيفة التي شغلها الشاعر في السلك العسكري واندراجه تحت ظلال الحياة العسكرية ووجوده في خط تماس هذه البيئة، ساهم بشكل جوهري و مباشر في إذكاء روح الوطنية و الانتماء لديه، وقد ألقى الشاعر هذه القصيدة بين يدي السلطان قابوس في إحدى المهرجانات الوطنية، ونلمح الصلة الجامعة بين عنوان القصيدة (زئير الضراغم) ومضمونها المدحي الذي جرت عليه، وهو أمر يرشح عن الوحدة الموضوعية بين الطرفين، ولو وقفنا وقفة يسيرة حول هذا التآلف البنيوي، نجد العنوان ينحو إلى القوة والأنفة ودلائل الفخر والشموخ والاعتداد، فالزئير صوت الأسد ذلك المخلوق الجسور المرهوب الجانب الصلب الشكيمة، و الضراغم مفردها ضرغام، من أسماء الأسد، كنّى بهذه اللفظة

عن الشعب العماني عامة وأفراد العسكرية خاصة مُبينا ما يتحلى به هؤلاء من سمات مماثلة لتلك الضراغم، في صون الكرامة والذود عن الحمى والدفاع عن حياض الوطن، كما تذود الضراغِمُ عن عرينها. وها هو يستهل مدحته متسائـلا:

أتريد شعرا أم زئير ضـراغــم *** أم قصـف رعـد في هـزيـم عـارمِ

أتريد زلزالا يُـزلزل هــولـه *** جهل الجهـول وعنفــوان الغاشــمِ

واستهلاله بالاستفهام يشير إلى التقرير الموضوعي المؤكِد للفكرة البانية للنص، وسيأتي بحث ذلك في موضعه من الدراسة، بيدَ أن ذلك أسهم في إظهار امتثاله التام وطاعته المطلقة لشخص الممدوح، فيقول إن كان ذلك حقا فأبشر أيها السلطان بما تريد، فللقصائد الفخر إذا دُبجت قوافيها فيك وسالت يراعتها من أجلك ويمضي الشاعر في سائر الأبيات بالتنويع في الجُمل الشعرية، فتراهُ يُراوح بين الأساليب الخبرية والإنشائية، ونلمح منه عدم الإسفافِ من المبالغة و التملق المذموم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، لذلك فهو يُحرص على إضفاء مديحه بطابع واقعي، متخـذا من شواهد العصر الماثلة للعيان رافدا هاما لوصفه المدحي ومن ذلك قوله:

حسب المواطـن أنك استنقـذتــه *** مما يعـاني من زمـانٍ ظالــمِ

وكذلك:

لا اللـيـن أفــرط فاستحال مذمـة *** فيهــا ولا بالبطـش ردعُ الظالـمِ

وكل ذلك لا ريب فيه، على الأقل من وجهة نظر الشاعر، وهو بذلك يسلك مسلك من قبله ((وإذا أخذت في مديح سيد ذي أيادٍ فأشهر مناقبـه، وأظهر مناسبه، وابْن معالمَه، و مقدمـه))[1]وقد طمح الشاعر من المقارنة بين العهدين، العهد السابق وعهد السلطان قابوس، إلى رفع قيمة المستوى المدحي، وذلك أمر يُحمد له ويُضـاف إلى حسناته، لكون هذه المقارنة واقعية، فالمتأمل المنصف يدرك مدى الفرق الواسع والهوّة

[1]– القيرواني – ابن رشيق – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده –2 /114

الفاصلة بين العهدين، ويستطرد سرد هذه المشاهد الواقعية بأشكال مختلفة، وهذا من شأنه أن يُكسب بعدا مصداقيا أعمق، ويفتح أفقا أوسع لفهم القصيدة بعكس ما لو كانت طافحة بالمبالغات التخييلية الجوفاء التي قد تُفسد المعنى أكثر مما تصحح المسار، فضلا عن انسيابية الأبيات وتواتر المفردات من غير قلق أو اضطراب مما يُوحي بغلبة الطبع و السجية، فلا نلحظ تصنعا لفظيا أو تمحُّلا معنويا، على أن الشاعر لم يكترث بوصف قصور السلطان و الأواوين، كما يُحمدُ له تعرّضُهُ في مدحته إلى الصفات الذاتية المعنوية لخلودها في نفس المتلقي وبقاء أثرها في الآخرين.

والقصيدة الأخرى (صباح البطولات) قالها الشاعر في ميدان الرماية في قريته مسكن، وقد أعاد هذا المشهد إلى ذاكرته مواقف البطولات و دوي أصوات المدافع في ساحات المعارك، مشهد استفزّ شاعريته واستدعى ذكرياتـه، ونلحظُ الواشجة الحميمة إلى تلك الأيام في براعة استهلال القصيدة:

صباح البطولات كـرا وفـرا *** وعـزا و مجـدا وفوزا و نصرا

صباح البنادق تقـذف جمـرا *** بضرب يميدُ لـه الكون ذُعـرا

ويستمر في هذا الحماس المُتوثب، وتعلو نبرة الافتخار بالوطن، وتشتد ثورة التحدي للمستحيل، وما تلبث أن تستحيل هذه النشوة الحماسية الوطنية إلى نزعة قومية عروبية مسلمة، يدعو من خلالها للعرب أن تجتمع كلمتهم:

صباح البطولات تجمع خيرا *** وتدفع عن أمـة العرب شرا

<u>وبعد هذا العرض الموجز لغرض المدح يمكن استجلاء خصائصه فيما يلي:</u>

أولا: يعتمد الكلباني في مديحه على إعطاء معايير خاصة تُبرز أسباب المديح لديه، فهو لا يمدح حتى يكشف عن مبرراته ومعطياته لهذا المدح في النص نفسه ، كما يهدف في المديح السلطاني إلى تخليد خصال الممدوح وإبراز حاجة الناس إليه وغناه عنهم.

ثانيا: مدائحه تصدر عن إعجابه لممدوحه، وقد تتصل اتصالا وثيقا بميوله النفسية والعاطفية كما هو ملموس في قصيدة صباح البطولات.

ثالثا: لم أعثر إلا على قصيدتين تمثلان غرض المدح لدى الشاعر وهذا يُشير إلى إقلاله في هذا الجانب، ولم أعثر له – على حد علمي – على مدحة لأحد من وجهاء الناس وعِليتهم، كالوزراء والقضاة أو الولاة.

رابعا: على الرغم من اقتصار الديوان على مدحتين فقط، إلا أنهما بلغا من الصياغة المدحية مبلغا لا بأس به، والشاعر حشد لهما مفردات الإطراء ودلالاته، ناهيك من السمات البلاغية المحتوية عليها و سيأتي شرحها في موضعها.

خامسا: الرسالة: الكلباني ينطلق في مدحه عن رسالة هادفة، وقصيدة المديح السلطاني لم تخلُ في جوهرها من رسائل ضمنية، كدعوة الشعب إلى مزيدٍ من التراحم والتلاحم:

وأجسد الحب الذي تحظى بـه *** من شعبـك المتراحـم المتلاحـم

وهنا تبرز الدعوة إلى العرفان بالجميل للحاكم:

وإذا الشعوب تذاكرت حكامها *** فلسوف نذكر منك أوفـى حاكـم

وقد ينطبق ذلك على ما قاله الباحث بيومي فيما ينبغي أن تكون عليه تجربة الشعر بصفة عامة " ولذِا يمكن القول إن الشاعر يُعبر عن شخصه ونفسه، من خلال وعيهِ الجمعي، وما أفكاره إلا استمدادٌ من الأطر و النُظم الاجتماعية المُحيطة، فهو لا يعبر عنها بمعزل عن أحلام المجتمع وظروفه "[1]

سادسا: يمتزج المديح عنده بعشق الممدوح، سواء أكان الممدوح شخصا أم حدثا، ونرى هذا المزج كثيرا في الشعر العربي.

[1]– أبو زيد بيومي، التوازن في عملية إبداع النص الشعري – دار العلم والايمان للنشر و التوزيع –ص 94

ثالثاً: الغـــزل

يُعدُّ الكلباني مُكثرا في هذا الجانب بالنظر إلى مجموع قصائد الديوان المجموع، فقد احتل فن الغزل ما نسبتُهُ 22% من معدل القصائد عامّـةً ، ولا ريب أن جميـعها يدور في فلك المرأة لوصـفها منبعا ثـرّاً للحسن والجمال، وعلى هذا دَأبَ الشعراء ولا سيما الجاهليين " وقد افتتن الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي بجمال المرأة، وتغنوا بمحاسنها وراحوا يرسمون ذلك في لوحات جميلة ودقيقة، ويصورونه في إطار فني متناسق الألوان والظلال "[1] وهُيام الشعراء بالمرأة حتّم عليهم أن يخلقوا ترجمانا يُوعُون فيه مشاعرهم و عُصارة قلوبهم تُجاهها فكان الغزل مضمونا لهذه المشاعر " وقد تعهّده الشعراء طويلا وأودعوه ذوب العاطفة، وعصارة الوحي، فجاء سجلا حافلا بالشوق نابضا بالحنين، متسما بالآلام والآمال، عابقا بالشقاء والهناء، في قصائد مختارة عنّت شعراءها، فأرضوا حسهم الفني، ولاءَموا منزع الروح وتَوق الوجدان "[2] وقد أولِيَ الغزل اهتماما خاصا عند القدماء حيث جعلوا الاستهلال بالنسيب في جميع الأغراض الشعرية سنّة مُتّبعة، وأنكروا على من يفتتح قصيدتة بغير النسيب وسمّوا قصيدته بالبتراء، يقول المتنبي في هذا المعنى:

إذا كان مدح فالنسيب المُقـدّمُ * أكلُّ فصيح قال شعرا مُتيّـمُ**[3]

والكلباني في غزله يُصدر عن عاطفة مشبوبة وإحساس مُرهف ، ونراهُ يُحاكي حال العاشق الولهان واضح الصبابة الذي استبد به الغرام وتمادى به الذبول جريا مع القول القائل " حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كز ولا غامض، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، لين الإيثار رطب المكسر، شفّاف الجوهر، يُطرب الحزين ويستخف الرصين "[4] ولكنه حافظ على نزاهة لغته الغزلية ولم يَحِدْ به هذا الاحتراق العاطفي إلى الوصف الجسدي المُشين، أو التخلّع في عرض المفاتن، فغزله عفيف نزيه يشي باحترام المرأة وتوقيرها ويُفصِح عن ذلك في قصيدة نصيحـة:

---

[2]– محمود محمد عارف – الغزل في شعر الأخطل – الأمانة للنشر والتوزيع ط: 1 ص 25

[3]– عزمي سكر، أحلى قصائد الحب، المؤسسة الحديثة للكتاب – طرابلس، لبنان 1993 ص6

[4]– عبدالرحمن البرقوقي – شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت 1980، ص 69–80

[33]– القيرواني – ابن رشيق – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 2 / 137

قلت لا تشفقي فإني نزيــه *** جنّبَ الله خلقتي كل عهـرِ

أعشق الغانيات لكن بروحٍ *** تشرب الحب من ينابيع طُهرِ

ومن مضامين قصيدة الغزل استعماله للحوار القصصي، للتعبير عن مواقف مُعينة كما في قوله:

قلت أهلا و مرحبا بك يا من *** سبحت باسمها ملائك شعري

ثم قالت إلى اللقاء وعفوا *** فمجيئي إلى هنا جِدَّ سري

ويتضح هذا المظهر في قصيدة حوار:

ثم قالت يُهديك أحلى التحايا *** ناسُك المختفون خلف الستورِ
قلت والدهشة البريئة تلهو *** بفؤاد على الهوى مفطورِ

ومن غزليات الكلباني ما تضمّنَ معنى الغزل المحض، ولم تخلص منه إلى موضوع آخر، ويمثل هذا القسم أغلب القصائد الغزلية، ونضرب أنموذجا له باجتزاء بضعة أسطرُ مما قاله الباحث شُبر الموسوي " ويبدو أن شعر الغزل قد فتح لشعراء الاتجاه الكلاسيكي بشكله الحديث مجالات واسعة للتعبير عن ذواتهم بشكل واضح.....، كما دفعهم إلى الالتصاق ببيئتهم العمانية في تواشُج واضح بين موضوع الغزل والبيئة المحيطة، التي ظهرت ألفاظها ومعانيها واضحة في قصائدهم، ويأتي ذلك كاعتزاز غير محدود ببيئتهم و وطنهم ومن ذلك قول سالم الكلباني:

أنت و الزي العماني معــا *** فتنــة زاغت و سحرا أبدعــا
و نُسيمات العـراقي و أنـا *** وفؤادي الطفل نبكي هلَعــا
وشبـابي وصبـاك المُزدهي *** يستجيران الضنـى و الوجعـا
أنتِ يا أنشودة الطهـر التي *** صـدح الطهـر بها مُبتدِعــا
يا سلام الطيب يا أرجوحة *** حلفَ الريحـانُ أن لا تُقـطعا[1]

[34]– الموسوي – شُبّر بن شرف، اتجاهات الشعر العماني المُعاصر، من عام 1970 إلى 1995، مطابع النهضة، مسقط 2000 ص 124

وقد دَأبَ الشعراءُ على استهلال بعض قصائدهم بالغزل ثم يتخلصون منه إلى موضوعٍ أساسٍ كُتِبتْ القصيدة من أجله، وهذا لم نلمحـه في غزل الكلباني عدا بعض القصائد التي استهلّها بالغزل وحاد منه إلى معالجة قضايا اجتماعية.

رابعاً: الرثـــــاء

في ديوان مدامع ومدافع، طرق الكلباني لون الرثاء، ولعل أصدق مراثيه تلك التي قالها في والده، الأب الفاضل: علي بن سالم الكلباني سطر فيها مرارة الفقد ولوعة الفراق بمداد الدمـع وأبان آثـار الحزن العميق الذي رزح تحت وطأته، فليست الوحشة مقصورة على بني البشر بل استـوحش مسجـده وسور الليل:

مُوحِشٌ مسجدك الباكي على *** سُوَر الليل ونجوى الكتب

ومما زاد من حرارة العاطفة وصدقها و توهجها، ذلك الخطاب المُباشر، حيث جـرّدَ من المخاطب رجلا حيا يخاطبه ويُناجيه:

يوم ودّعناك / أنت في الشدة و الراحة لي / كنت لي نعم الأب / أتملاك أمامي / لم تكن نسيا / كنت ملأ الأرض / يا عليا زادك الله عُلا...

ولم يَعدل عن استخدامه لضمير الخطاب فيما يسمى بالالتفات بين الضمـائر، ولعل السبب في ذلك، شدة صلة الشاعر بوالده معتبرا إياه المثل الأعلى في حياته:

أتمـلاك أمـامـي شامخـا *** مثل رضـوى في جـلال أهيَـبِ

ويعبر عن صدمته حين تلقّى نبأ الوفاة، حيث لم يتصور فداحة الخطب فوقف مشدوها له:

ما تصورت لنفسي أن أرى *** مثل ذا اليـوم المَهـولِ المرعِـبِ

ويضرع إلى الله أن يلتقيه مع حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ويمضي في تعداد مناقبه و خصاله فقد كان ملء الأرض فضلا وتقى وانطلاقا إلى سمو المراتب:

كنت ملء الأرض فضلا و تقى *** وانطلاقا نحو سامي الرتبِ

وكل مصيبة بعده تصغُرُ وتهون:

لا أبالي بعدك الدنيا وما *** سوف تُشقيني بـه من نصبِ

حرص الكلباني في مرثاته لوالده على اختصار البعد النفسي في مساحة ضيقة، على الرغم من اتساع رُقعة الألم، وما إنْ تحقق له هذا الترابط، اكتفى بثمان وعشرين بيتا، وختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وثمة مرثية أخرى قالها في حق والده حصلنا منها على عدة مقاطع، نُدرجُ بعضا منها لعدم إدراجها في الديوان مجال الدراسة، يقول في مطلعها:

على صلوات الناس و الدعـوات *** خذ الدرب مزفـوفا إلى الرحماتِ

وعش في جوار الأصفياء الذين هم *** لدى الله في عـالٍ من الدرجـاتِ

سلامٌ وريحانٌ و روحٌ ورحمـةٌ *** تحوطكَ في الروحـات والغدواتِ

لكَ الله من ماضٍ إليكَ مُبجّـلٍ *** لدى المـلأ الأعلى كـريم صِفاتِ

رحلت إلى ما لا نهاية رحلـةً *** بعيدا مـداها مُوحش الطرقـاتِ

إلى أن يقول:

إمامي وأستاذي و شيخي وقائـدي *** إلى قمـم في المـجد مرتفعـاتِ

أحييكَ بالحب المقدس بينـنـا *** وبالروح و الريـحان و الرحمـاتِ

و بالسور الغر التي قد قرأتـهـا *** عليك و ما فيهـا من البركـــاتِ

تمنيتُ لو أرثيك بالحب طاهرا *** نقيـا مـن الأطمـاع و الشهـواتِ

فتسمـو طباع الناس حتى نظنهـم *** ملائكـةً يمشـون في الطرقـاتِ [1]

[40]– لم ترد هذه القصيدة في الديوان المجموع بحكم أنها قصيدة لم تكتمل أثناء الدراسة، ومصدرها من لقاء الباحث مع الشاعر الكلباني.

وتبدو محاولة الشاعر في الخروج من الصياغة النمطية للقصيدة الكلاسيكية بارزة جلية، وذلك من خلال كثافة الصور السابقة التي تتسم بقدر من الحداثة والابتكار.

وقد رثى الكلباني بعض أفاضل عصره في مقطوعات قصيرة جاءت عفوَ الخاطر منها رثاؤهُ الوالد الفاضل حمود بن عبدالله بن حمد الكلباني[1] في قصيدة قال فيها:

أعزيكمو و الحزن يعصر وجداني*** وبالدم لا بالدمع تذرف أجفاني

وقد أكثر الناس البكاء وما بكوا *** فقيدا كهذا من سلالة كلباني

خامساً: قضايا قومية

لم يكن الكلباني مُنزويا بمنأى عن أحداث الأمة العربية وهمومها وآلامها، بل برّزَ بالقدر الكافي في الشعر السياسي وتناول القضايا العربية بروح الناقد المسلم البصير، ونظر إلى أمته مهيضة الجناح، متمزقة الأهواء، متمزّعة الأوصال، تجأر تحت سطوة الاستعمار وتحكُّمُ الأجنبي، ولم تكن قضية فلسطين بمنأى عن ضميره الإنساني وفكره المشبوب بالعروبة والصحوة الإسلامية، وهو يرى أضرحة الشهداء واستغاثات الثكلى ودموع اليتامى كل يوم، فلم تَرُقْ له هذه الحال، فها هو يثور على مجلس الأمن المُتحيز إلى صفّ الأقوياء على حساب الضعفاء / مُنكرا عليه صمته المُريب إزاء ما يُدَبّرُ للضعفاء في هذا الكون الفسيح:

يا لسان الحديد كلّ لساني *** فتكلّم بصوتِكَ الرّنانِ

مجلس الأمن أين أنت من الأحداث في كل موطنٍ و مكانِ

أين حق الانسان إن كان صدقا *** ما يُسمّى بحق ذا الإنسانِ

أكل المجرُم البرئَ وعيناك عن الآكلين مغُمضتانِ

[42]– أحد أفاضل قرية العيون التابعة لولاية عبري، عرف بكرمه وسخائه، توفي 8 / صفر / 1430 هـ

ويدعوهُ إلى النظر بعين الإنصاف و الحِياد، بعيدا عن نظرة الفصل و العنصرية، مذكرا إياه بمعاناة المقدسيين واللبنانيين، في حينٍ أن موقفا منه لم يُصدر حِيال ذلك:

أوَلمْ يَأنِ أن تشمـرَ كيمـا *** تضع العالمـين في ميزانِ

آهِ لو حلّ مرة بـك ما قـد *** حلّ في قدسنـا وفي لبنانِ

ويُهرع في تصوير فضاعة المأساة إلى الخيال الابتكاري فهو يتمنى لو يصبح رساما ليرسم صنوف المعاناة التي تشهدها الدول الضعيفة ولا مخلص منها ولا مناص:

أنا لو أستطيع أصـبح رسّامـا لأفنيتُ جـملة الألـوانِ

فرسـمتُ الشباب حين يذوق الموت في ساحة المـيدانِ

ورسمت النسـاء وهي تعاني ** بشقاها فقـدان زوج عانـي

ورسمت النعوش والناس تتلو ** خلفـها كل من عليها فـانِ

ويحذر من ضياع فلسطين ثانية في ظـلِّ التخاذل الفاضح:

استعدوا كي لا نبيع فلسطـينا جديدا بـنوم عـزمٍ ثـاني

وفي موضع آخر:

إنْ تضع من يدنا القدسُ فـلا ** تأمني مكـة ما تأتي العواقبْ

وتقدم القول إن الكلباني لم يكن حبيسَ القومية العربية الضيقة بل تعدّى ذلك إلى النهضة العربية المصطبغة بروح الفضيلة الإسلامية:

بارك الله سعـي حـرٍ تلظـىّ ** بين جنبيـه شعلـةُ الإيمـانِ

ويُضخم من فداحة الخزي والعار الذي تكابده الأمة العربية بسلوك طريقة التخييل الساخر:

إخوتي العرب أننا وسط خصمٍ ** ضجّ من هول شره الخافقانِ

ينظر الآن نحونَا وكأنّا ** صحنُ حلوى لذيذةٍ من عمانِ

وهنا تتنازع القارئ رغبتان متعارضتان، رغبة في البكاء ورغبة في الضحك، وهدفه من ذلك تعميق المأساة وتقبيح المتورطين في صناعتها.

ويلجأ إلى الأسلوب نفسه في موضوع آخر:

نحن ناسٌ تقدميّون جدا ** حين نأتي قبالة الدكانِ

كثرَ الله نفظنا و رعاه ** و حمى جريَه من النقصانِ

وتُعدُّ قصيدة (عرش الجلال) من مطوّلات القصائد السياسية، حيث بلغت 141 بيتا، وهذا يؤيد ما ذهب إليه الدكتور علي عبد الخالق من أن "البحور الطويلة النفس في الشعر العماني تغلب على موضوعات الحماسة لوصفها مشتملة على تجارب مُكتملة[1] وقد ألقى الشاعر هذه القصيدة في ندوة شعراء دول الخليج المُقامة بفندق الخليج سنة 1983 وسط لفيف من رجالات الدولة، وأحياها جمعٌ من شعراء الخليج من بينهم الدكتور عبدالرحمن العشماوي والشاعر محمد هاشم رشيد من السعودية، ومحمد الفايز من الكويت، وعبدالرحمن رفيع من البحرين، وقد تراوحت ما بين إهداء السلام و التحية، والشكوى من انحطاط المسلمين وحالهم المُزرية، والتحذير من مخططات أعداء العروبة و الإسلام، والدعوة إلى وحدة الصف، ولم يَكِفْ خلال هذه المحاور من إطلاق الاحترازات المُسددة للمعنى من الانحراف و التشويـة:

يشهد الله أنني لست شخصا ** عنصريا أو طالبا (للعداءِ)

غير أني غضبت للحق لمّا ** دأبُوا ينبـذونه (بالعداءِ)

مذكرا أقرانـه من الشعراء الحاضرين برسالة الشعر الخالدة:

[43]– انظر الشعر العماني المعاصر مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية، للدكتور علي عبد الخالق – دار المعارف – القاهرة 1984 ص 163.

واجعلوا شعركم منابع نصــح ** ترتوي منه أنفسُ النّبلاءِ

حذروا الناس من مخاطر يُخشى ** أن تُعيد الأمام نحو الوراءِ

وفي قصيدة قف مع الإسلام يبرز الكلباني شاهقا في كامل حِلِيته الإسلامية، و يُعالج فيها بعض المصطلحات التي راجت في عصره، كمصطلح الإرهاب، متحدثا عن أسبابه و دوافعه:

ما نمى الإرهاب الإ حين ضاقت ** حيلـةُ المظلـوم فاستدعى نِصالهْ

ويلجأ إلى تقوية هذا المعنى وتأكيده إلى ضرب الحكمة:

والذي هيّـجَ ليثا لا يُؤملْ ** أن يرى في وثبـة الضاري غزالـهْ

ويبرز تسامح العربي المسلم في دعائه لخصمه بالهداية وكفِّ الضر عن نفسه أولا ثم مع الذين يعاملهم:

ربنا اكفف ضرهم عنهـم و عنـا ** واهدهم للرشد وارزقهم نوالَـه

وفي قصيدة (تفاءل أخي) يدعو فيها المسلمين كافة إلى التفاؤل والبشرى، ونبذ دواعي الإحباط ومُسببات الفشل، مهما أحدقت بهم جحافل الشرك وضلالات أهل الفساد:

فلا تجعل الإحباط يُثنيك يا أخي ** عن الهدف السامي فدربُك مُزهِرُ

ويبين عن عزة المسلم وعُلو همته، وترفعه عن الدّناءات:

لا يُنالُ العز بالهون فـلا ** تجبني لا تجبني يا هممي

أنا حــرٌ عـربي مسـلمٌ ** و الوفا دوما شعار المسلمِ

إنْ أكن أمشي على هذا الثرى ** فطموحي فوق هام الأنجُمِ

وفكرُ الكلباني غير منفصل عن الرموز الجهادية للأمة الإسلامية فها هو يحزن لنبأ استشهاد الشيخ أحمد ياسين، الذي اغتالته يدُ الغدر والفساد:

كذا الموت يا شيخ الشيوخ ففز بـه ** عظيما وجبـارا وممتطيا نصـرا

ويتفاعل بحرقة وألم ونبأَ إعدام الرئيس العراقي السابق صدام حسين، في أول أيام العيد الأضحى:

وزعيم الأحرار يُقتل شنقاً ** يوم عيد يُجِلّـهُ المسلمونا

مُظهرا استيائه الشديد من غفلة العرب وعدم اكتراثهم لهذا النبأ الفادح:

أسعِدْ الغافلين يا عيدُ غيري ** وكثيرون بيننا الغافلونا

وفي قصيدة من أوجاع العرب وهي من قلائل شعره الحر، يِبين الدوافع التي زجّتْ بالعربي المظلوم إلى استحداث أساليب جديدة للموت، وكيف يُلامُ في ذلك إذا كان الموت هو خيارُهُ الأخير:

ما رأيكم في الموت

أمطلب أم مهرب حين يفوت الفوت

أليس صوتا مسمعا حين غدوتم لا

تجيدون سماع الصوت

أيلبَسُ الحزام

مُخبئا في جسمه حقلا من الألغام

لَيستقي بيده الحمِام

إلا الذي يدفعه شيء أشدُّ قسوةً

من ذلك الحمِام

ونلحظ التحامه الشديد بالقضية الفلسطينية في قصيدة غضبة إنسان وهي أولى كتابات الكلباني على منوال الشعر الحر:

بعد يوم مُستفيض بالمواجع

مُثقلٍ بالهم و الحزن وأنواع الفجائعْ

عاد مشحونا بآلاف القضايا و البلايا

والـنـَّوايا و النـّوازعْ [1]

والبنية الموضوعية للقصيدة تتَّكِـئُ على السرد القصصي، وترمي إلى نزع اللثام عن أحوال المواطن الفلسطيني البائس لهذا جاءت مُطابقة لنبض الواقع الذي يعيشه تحت نيرا لاحتلال و جبروته، ويبدو أنّ أسلوب الشعر الحر أكثر ملاءمة لكتابة القصة الشعرية من الشعر العمودي، فمن الشعراء العمانيين " لم يكن الخليلي[2] وحده هو الذي اتجه إلى كتابة القصة بأسلوب الشعر الحر بل شاركه شعراء آخرون، منهم الشاعر سالم الكلباني، الذي كتب قصة شعرية في شعر التفعيلة – غضبة إنسان – وتأتي محاولته تلك الأولى لنظم الشعر الحر"[3] ويمكن القول " إن قصيدة غضبة إنسان للشاعر سالم بن علي الكلباني، قد استخدمت تكنيكات السرد القصصي، وقد تكونت من ثلاثة عشر مقطعا، توزّعتها تقنيات الوصف الخارجي والمونولوج الداخلي، الذي يصور الصراع النفسي الذي يعتري تلك النفس الممزقة نتيجة انعكاس الأحداث الخارجية على صفحة روح البطل، وكان الشاعر يتسرب ليتقمص شخصية البطل، ويحكي لنا المُعاناة بأسلوب مؤثر، مُستعينا بالحركة النغمية، وفي مقدمتها القوافي الخارجية والداخلية، في بعض الأسطر، إن الروح القصصي في هذه القصيدة أحكمها، وجعلها تتبوأ منزلة فنية رفيعة "[4].

---

[44]– جريدة عمان، المحلق الثقافي، عدد إبريل 1988، قصيدة غضبة إنسان.

[45]– عبدالله بن علي الخليلي، شاعر عماني من شعراء النّخبة (1922 – 2000) له عدة دواوين منها وحي العبقرية، وحيُ النهى، فارس الضاد، على ركاب الجمهور، وأخرى..

[46]– الموسوي – اتجاهات الشعر العماني المعاصر، مصدر سابق ص 128.

[47]– قاسم عدنان حسين، دراسة السمات الفنية في شعر الشباب العماني المعاصر، حصاد أنشطة المنتدى الأدبي لعام 11994، ص 249.

والكلباني متابع جيد لمستجدات السياسة، فكما طالعناه غضبانَ أسِفا في قصيدة ذبيحة العيد، نراه مسرورا جَذِلا في قصيدة عاقبة الطاغي التي ابتهج فيها بسقوط رئيس الوزراء الإسرائيلي إيريل شارون بينَ براثن المرض، فنراهُ مُستأنِساً يستخفهُ الطربُ لِفرح إخوانه في فلسطين الذين ذاقوا الويْل والثبور على يديه:

هكذا هـزّك شيطانٌ رجيمُ *** وأضاقتكَ لفرعونَ الجحيمُ

إلى قوله:

هذه عاقبة الطاغي فخذها *** لهباً تخلُدُ فيها وتُقيمُ

وهنــا استدراك حول قوله:

قل لعزرائيل إن جاءك إني *** أنا يا أحمقُ شارون الحليمُ

قد يقع لبْسٌ في المعنى، بسبب الشِجار التركيبي – إنْ جاز التعبير – بين الجمل، ففي قوله: يا أحمق، قد يظنّ المُتلقي أن المتكلم شارون والمخاطب ملك الموت عزرائيل، والحق أنها جملة اعتراضية، من خِطاب الشاعر لشارون، هدفها التحقير والاستهزاء " وقد تكون الغاية من الاعتراض تصغير أمر ما في النفس"[1].

الخاتمة:

إنّ رحلة الاستقراء الموضوعي في شعره مَتَحَتْ غن نتيجة عامة مفادها التزام الشاعر بأنماط الموضوعات الشعرية الكلاسيكية، فهو لا يُصدر غالبا عن تجديد، ولا نكاد نلمس لديه رغبة أكيدة لذلك، و يبتعد شعره غالبا عن التكلّف والابتذال ويتسم بطابع العفوية المرتجلة، مع التوازن في عناصر الإبداع ولا ينفى ذلك وجود سِمات بلاغية على مستوى الهيكل الداخلي للقصيدة، وقد طرق الكلباني في ديوانه أغلب الموضوعات الشعرية كالمدح والرثاء والغزل والإخوانيات والوطنيات والقضايا القومية، كما اتسمت بعض قصائده بازدواجية الغرض، فنجد الغرضين في قصيدة واحدة، كامتزاج الفخر بالمديح، والغزل بالوصف، وهذا أمر دأبت عليه قرائح الشعراء وهنا يُرجَعُ إلى مناسبة القصيدة وفكرتها الأساسية في تحديد الموضوع الشعري.

---

[48]– الجاسم –محمود حسن، الجملة العربية في ضوء مُغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، دار التراث، حلب، ط: الأولى ص 83.

قائمة المصادر والمراجع

1) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

2) أبو زيد بيومي، التوازن في عملية إبداع النص الشعري، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

3) شُبّر بن شرف الموسوي، اتجاهات الشعر العماني المُعاصر، من عام 1970 إلى 1995، مطابع النهضة، مسقط، 2000.

4) عبد الستار إبراهيم، الحكمة الضائعة / الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع، الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة.

5) عبدالرحمن البرقوقي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت 1980.

6) عزمي سكر، أحلى قصائد الحب، المؤسسة الحديثة للكتاب – طرابلس، لبنان، 1996.

7) علي عبد الخالق، الشعر العماني المعاصر مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المعارف – القاهرة، 1984.

8) عيسى السليماني، الصورة الشعرية في بناء القصيدة العمانية، كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع.

9) قاسم عدنان حسين، دراسة السمات الفنية في شعر الشباب العماني المعاصر، حصاد أنشطة المنتدى الأدبي لعام 11994.

10) محمود حسن الجاسم، الجملة العربية في ضوء مُغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، دار التراث، حلب، ط: الأولى.

11) محمود محمد عارف، الغزل في شعر الأخطل، الأمانة للنشر والتوزيع، ط: 1.

.....